قال الله تعالى

وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

كتاب التوابين

تأليف

الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

ولد سنة ٥٤١ هـ وتوفي سنة ٦٢٠ هـ
رحمه الله تعالى

حققه نصوصه وعلق عليه

عبد القادر الأرناؤوط

دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

حقوق الطبع محفوظة للمحقق والناشر

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢

ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة المحقّق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد : فهذا « كتاب التوابين » ـ للإمام الفقيه الزاهد شيخ الاسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي نقدّمه للناس في وقت أحوج ما نكون فيه إلى التوبة من الذنوب بالرجوع إلى الله تعالى ستار العيوب وغفار الذنوب ، فإن التوبة مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين ـ

استعرض فيه المؤلف أخبار التائبين ، وقصص المنيبين ممن كانوا في مختلف العصور القديمة والحديثة ، من عهد آدم عليه السلام إلى أوائل القرن السابع الهجري الذي كان فيه المؤلف رحمه الله .

وافتتحه بذكر توبة الملائكة عليهم السلام ـ وسرد قصة هاروت وماروت على أنهما ملكان ـ ثم ذكر توبة بعض الأنبياء والمرسلين الذين

ورد ذكر توبتهم في كتاب ربنا التواب الرحيم ، وسنة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، كما ذكر توبة بعض ملوك الأمم الماضية والقرون الخالية وبعض أتباع الأنبياء المتقدمين ، من بني اسرائيل قبل البعثة المحمدية ، ثم من تاب من أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وغير واحد من ملوك هذه الأمة وسلاطينها وأمرائها حتى زمنه ، ممن تاب عن اعتقاد فاسد ، أو مذهب غير صحيح، أو أقلع عن الوقيعة في الناس ، وشرب الخمر ، وارتكاب الفواحش ، وعمل السحر ، والتأنث والتخنث ، والزنا ، وغير ذلك مما يجري في كل عصر ومصر وزمان ومكان .

وختم الكتاب بأخبار بعض أهل الكتاب الذين اعتنقوا الاسلام وآمنوا بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام .وقد استمد رحمه الله أخبار كتابه هذا مما قصه الله تعالى علينا في كتابه المبين ، ومما تحدث به نبينا الكريم ، مما هو مدون في الصحاح والسنن والمسانيد ، كما اعتمد بعض الكتب التي تعنى بالرقائق والوعظ ، مثل مصنفات الحافظ ابن أبي الدنيا المتوفى سنة (٢٨١هـ) و«تنبيه الغافلين» للإمام أبي الليث السمرقندي المتوفى سنة (٣٧٣ هـ) و « ملتقط الحكايات » للإمام ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٧٩ هـ) وما سمعه من أستاذه المشهود له بالفضل والعلم والمعرفة الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة (٥٦١ هـ) فكان هذا الكتاب أوفى وأوسع وأجمع من الكتب التي سبقته في موضوعه .

وغير خاف أن طريقة العرض التي اختارها المؤلف لسرد الأخبار في كتابه هذا مشوقة محببة ، تحكيها صورة جذابة ، وتشرحها جمل سهلة مألوفة ، يجني القارىء منها العبرة والفائدة في لطف ويسر واشتياق .

ولا شك أن مطالعته بحرارة وشوق توقظ في الانسان التقوى التي

تحمله على التقرب من الله وحده بما يقوم به من انسلاخ عن الرذائل وبعد عن أسبابها ، ومن تحلٍ بالفضائل والتماس أسبابها وميسراتها ، جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . (ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

الباعث على طبع الكتاب :

لقد عثرت أثناء مطالعاتي في دار الكتب الظاهرية على مخطوطة جيدة لكتاب التوابين ، ونظرت في قسم المطبوعات ، فوجدته قد طبع سنة (١٩٦١ م) باشراف المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، وبتحقيق الاستاذ جورج المقدسي ، فأخذت أقلّب صفحاته ، وأقرأ بعض فصوله ، فأثار إعجابي ، وملك عليّ مشاعري،وترك في نفسي أثراً طيباً ، وقدّرت في نفسي أنني أستطيع أن أقتني منه نسخةمطبوعة، لكنني فوجئت بما لم أكن أتوقعه حينما طلب مني صاحب المكتبة ثمنه (٤٠) ليرة سورية ، وأيقنت أن الانتفاع به محصور في نفر قليل من الناس لا يتجاوزون عدّ الأصابع من ذوي اليسار والجدة ، فنشأتعندي رغبة في تحقيقه ونشره بثمن ميسّر ليعم نفعه ويكون في متناول كل الطبقات ، سيما وأن بعض أهل العلم ممن له اطلاع ومعرفة شجعني على ذلك ، ومن ثم صوّرت النسختين الموجودتين في دار الكتب الظاهرية ، وشرعت في تحقيقه بعد الاتفاق مع صاحب دار البيان السيد بشيرعيون ، الذي أبدى استعداده ورغبته ، وقدّم كافة التسهيلات الميسّرة لاخراجه، فجزاه الله تعالى كل خير ، وسدد خطاه ، وشكر مسعاه .

وصف النسخ التي اعتمدنا في الطبع :

لقد اعتمدنا في طبع هذا الكتاب على نسختين خطيتين في دار الكتب الظاهرية العامرة بدمشق الشام المحروسة .

النسخة الأولى تحت رقم عام (٥٦٠٣) وعدد صفحاتها (٢٧٥) صفحة ، في كل صفحة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٠) كلمات تقريباً ، مقياس ٢٤×١٦سم ، خطها حسن مقروء واضح ، وهي موشحة ببعض التصحيحات والتصويبات ، كتبت سنة (٧٣٧ هـ) ، قابلها بعض علماء الشام على نسخة خطية كانت في جامع الحنابلة في قرية دوما ، وقد كتب في آخرها ما نصه :

الحمد لله ، بلغ مقابلة على نسخة مرقومة في يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى سنة (٧٩٥ هـ) وهي من أوقاف الشيخ أبي عثمان الحنبلي في جامع الحنابلة في قرية دوما في حجرة الشيخ المذكور رحمه الله ، وكانت المقابلة في دار الشيخ توفيق الأيوبي بمساعدة الشيخ فيض الله الأفغاني ، في ذي القعدة سنة (١٣١٦ هـ) والحمد لله رب العالمين ، وكتب محمد ابن محمد المبارك الحسني الجزائري الشاذلي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ، آمين آمين .

وقد رمزنا لها بـ « أ » .

النسخة الثانية تحت رقم عام (٥٦٣٢) وعدد ورقاتها (١٣٠) ورقة ، في كل صفحة منها (١٥) سطراً في كل سطر (١٢) كلمة تقريباً ، مقياس ٢٦×١٧ سم ، خطها مقروء حسن ، ومشكول في بعض المواطن ، وهي فيما يظهر أقدم من الأولى ، ولكنها ناقصة الصفحة الأولى والأخيرة وبعض صفحات متفرقات ، وقد تم هذا النقص من النسخة الأولى بخط حديث ، وكتب في آخرها : كانت هذه النسخة ناقصة (٧) ورقات فأتممناها من نسخة كتبت في الأحد رابع شهر رمضان المبارك سنة (٧٣٧ هـ) وعلى هذه النسخة أيضاً تصحيحات وتعليقات بخطوط متنوعة يستدل منها على أنها مقابلة على غيرها من النسخ ، ولعلها قوبلت

على نسخة المؤلف ، لأن ناسخها يقول في بعض المواطن عند تتمة أجزائها : من أصل مؤلفه وحده لا غير ، وفي مكان آخر : آخر الجزء الخامس من أصل المؤلف . وعلى كل فهي نسخة لا بأس بها ، ولكن لدى التحقيق تبين أن النسخة الأولى أجود وأصح على الجملة .

وقد رمزنا لهذه النسخة بـ « ب » .

هذا وقد ذكر الأستاذ جورج المقدسي الذي عني بتحقيق هذا الكتاب ونشره لأول مرة في مقدمته الطويلة باللغة الفرنسية أن لكتاب التوابين ثلاث عشرة نسخة خطية في العالم ، وقد أتى على وصفها جميعها ، واعتمد على ثلاث نسخ منها ، وهو مشكور على ما أنفق من جهد في نشر هذا الكتاب لأول مرة ، وقد استفدنا منه بعض الشيء في المقابلة ، إلا أننا عثرنا على تحريفات وأخطاء أشرنا إلى بعضها في مواضعها من طبعتنا هذه ، والخطأ والعثار لا ينجو منها إنسان .

عملنا في الكتاب :

لقد قابلنا النسخ الخطية في دار الكتب الظاهرية على بعضها ، وعلى مطبوعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، وأثبتنا ما كان منها صواباً ، وأشرنا في التعليق إلى ذلك غالبا ، وضبطنا النص ، وفصلناه ، ورقمنا آياته ، وخرجنا أحاديثه ، وذكرنا بعض الفوائد المستنبطة منه ، وعلقنا على بعض القصص التي لا تتفق وما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وأثبتنا في مطلع كل قصة عنواناً يناسبها ، وشرحنا بعض الكلمات الغريبة ، وترجمنا بإيجاز لبعض الأعلام والبلدان ، ونرجو الله تعالى أن نكون قد وفقنا إلى إخراج هذا الكتاب إخراجاً صحيحاً يقع موقع القبول والرضى من كافة القراء الكرام . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق الخميس ١٤ صفر ١٣٨٩هـ
١ أيار ١٩٦٩م

عبد القادر الأرناؤوط

ترجمة المؤلف

هو الإمام الفقيه الزاهد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي .

ولد في شعبان سنة (٥٤١ هـ) ببلدة جماعيل من أعمال نابلس قرب بيت المقدس من أرض فلسطين المقدسة ، وكان الصليبيون في ذلك الوقت قد استولوا على بيت المقدس وما حوله من البقاع ، فهاجر والده أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة ـ رئيس هذا البيت المبارك وهذه الشجرة الطيبة ـ بأسرته إلى دمشق مع ابنَيه أبي عمر ، وموفق الدين ، وابن خالتهما عبد الغني المقدسي ، حوالي سنة (٥٥١ هـ) ـ وللحافظ ضياء الدين المقدسي كتاب في سبب هجرة المقادسة إلى دمشق ـ فنزلوا في مسجد أبي صالح بدمشق ظاهر الباب الشرقي ، ثم انتقلت الأسرة بعد سنتين من مسجد أبي صالح إلى جبل قاسيون في صالحية دمشق ، وفي خلال هذه المدة كان الموفق يحفظ القرآن ويتلقى مبادىء علومه على أبيه أبي العباس (وهو من أهل العلم والفضل والصلاح والزهد) ثم تتلمذ على شيوخ دمشق وعلمائها وحفظ « مختصر الخرقي » في الفقه ، وغيره من الكتب ، وما زال يتقدم حتى بلغ العشرين من عمره ، فقام برحلة إلى بغداد يصحبه ابن خالته عبد الغني المقدسي ، وكانا في سنٍ واحدة ، فأقام الموفق في بداية أمره مدة يسيرة عند الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد ، وكان الشيخ في التسعين من عمره ، فقرأ عليه «مختصر الخرقي»

قراءة فهم وتدقيق ، لانه كان يحفظه في دمشق ، ثم توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله ، فلازم الشيخ ناصح الإسلام أبا الفتح ابن المنّي، وقرأ عليه المذهب والخلاف ، ولبث في بغداد أربع سنين ، وسمع بها أيضاً من هبة الله بن الدقاق وغيره ، ثم رجع إلى دمشق فأقام في أهله مدة وعاد إلى بغداد سنة (٥٦٧ هـ) فأمضى سنة أخرى سمع فيها من أبي الفتح ابن المني ، ورجع إلى دمشق ، ثم قام بأداء فريضه الحج سنة (٥٧٤ هـ) ثم عاد إلى دمشق وبدأ يصنف كتابه « المغني » شرح «مختصر الخرقي » في الفقه ، وهو من أعظم الكتب المؤلفة في الفقه الإسلامي عامة ، وفي فقه مذهب الإمام أحمد خاصة ، ولقد قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام فيه : لم تطب لي الفتيا حتى كانت عندي نسخة من « المغني » .

وكان طلبة العلم يتلقون عليه الدروس في الحديث والفقه وغير ذلك من العلوم ، وقد تفقه عليه خلق كثير ، منهم ابن أخيه قاضي القضاة شمس الدين بن أبي عمر وطبقته .

وكان إلى ذلك يواصل التأليف والتصنيف في أنواع شتى من الفنون، لا سيا الفقه الذي حذقه وصنف فيه العديد من الكتب التي تشهد بعلوّ كعبه فيه ، حتى أصبح علماً يشار إليه بالبنان ، وتتحدث بفضائله ومناقبه وعلومه الركبان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق .

وقال ابن الصلاح : ما رأيت مثل الموفق .

وقال سبط بن الجوزي : من رأى الموفق فكأنما رأى بعض الصحابة وكأن النور يخرج من وجهه .

وكان إماماً في فنون كثيرة ، ولم يكن في زمانه بعد أخيه أبي عمرو العماد أزهد ولا أورع ولا أعلم منه ، وكان كثير الحياء ، عزوفاً عن الدنيا وأهلها ، هيناً ، ليناً ، متواضعاً ، محباً للمساكين ، حسن الأخلاق ، جواداً ، سخياً ، وكان كثير العبادة ، غزير الفضل ، ثابت الذهن ، شديد التثبت في علمه ، دائم السكون ، قليل الكلام ، كثير العمل ، يستأنس الإنسان برؤيته قبل كلامه . ومناقبه كثيرة .

وقد ألف الحافظ ضياء الدين المقدسي في سيرته كتاباً ، وكذلك الحافظ الذهبي ولم يقتصر أمره – رحمه الله – على العلم والتقوى ، بل كان مجاهداً في سبيل الله مع البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي ، الذي جند المسلمين سنة (٥٨٣ هـ) لقمع الصليبيين وتطهير الأرض المقدسة من رجسهم فقد ذكر من ترجم له أنه هو وأخوه أبو عمر وتلاميذهما وبعض أفراد أسرتهما كانوا تحت هذه الألوية المظفرة ، وكان لهما ولتلاميذهما خيمة يتنقلون بها مع المجاهدين في سبيل الله حيثما حلوا .

وقد ترك رحمه الله من المصنفات المفيدة والمؤلفات النافعة في الفقه وغيره ، الشيء الكثير .

ففي الفقه : « العمدة » للمبتدئين ، « والمقنع » للمتوسطين ، والكافي » ذكر فيه من الأدلة ما يتوصل الطلبة للعمل بالدليل ، « والمغني » شرح « مختصر الخرقي » ذكر فيه مذاهب العلماء والأدلة ليعلم من كان عنده أهلية طرق الاجتهاد ، و « روضة الناظر » في في أصول الفقه ، « ومختصر في غريب الحديث » ، و«البرهان في مسألة القرآن » « والقدر » و « فضائل الصحابة » و « والمتحابين في الله » و « الرقة والبكاء » . و « ذم الموسوسين » و « ذم التأويل» « والتبيين

في نسب القرشيين » و « مناسك الحج » و « لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد » وغيرها .

توفي رحمه الله يوم السبت يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠ هـ ودفن في سفح جبل قاسيون في صالحية دمشق فوق جامع الحنابلة .

* * *

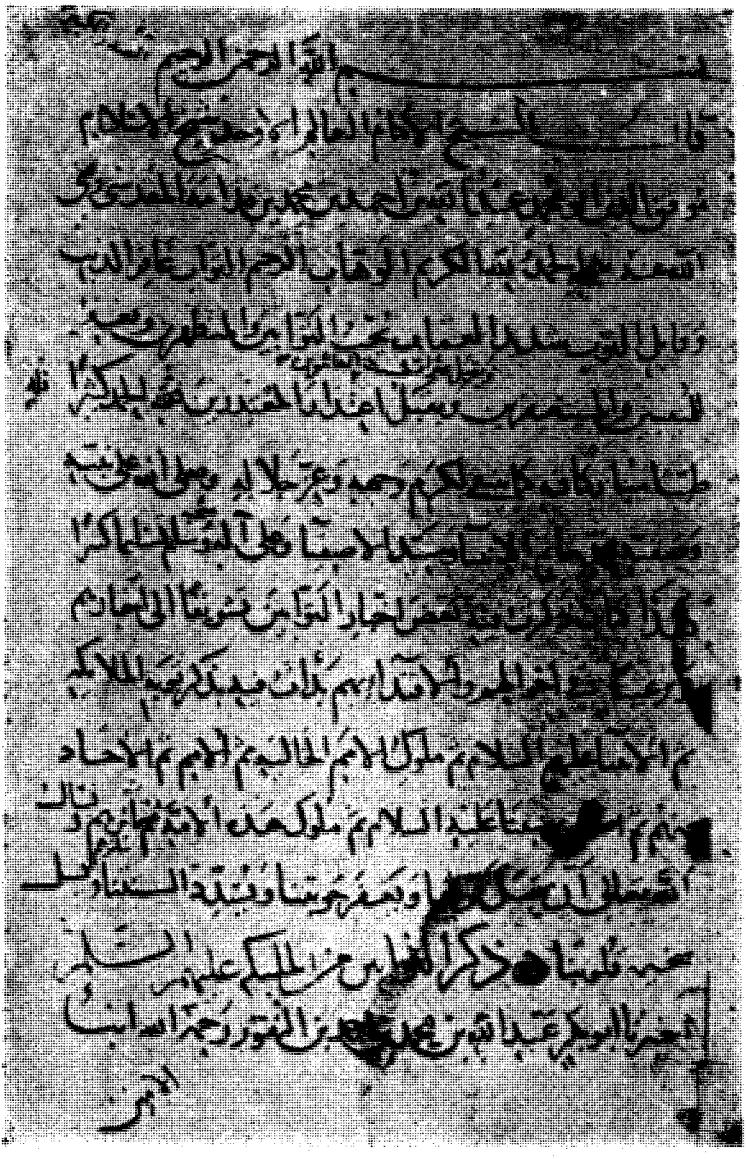

راموز الصفحة الأولى من النسخة « أ »

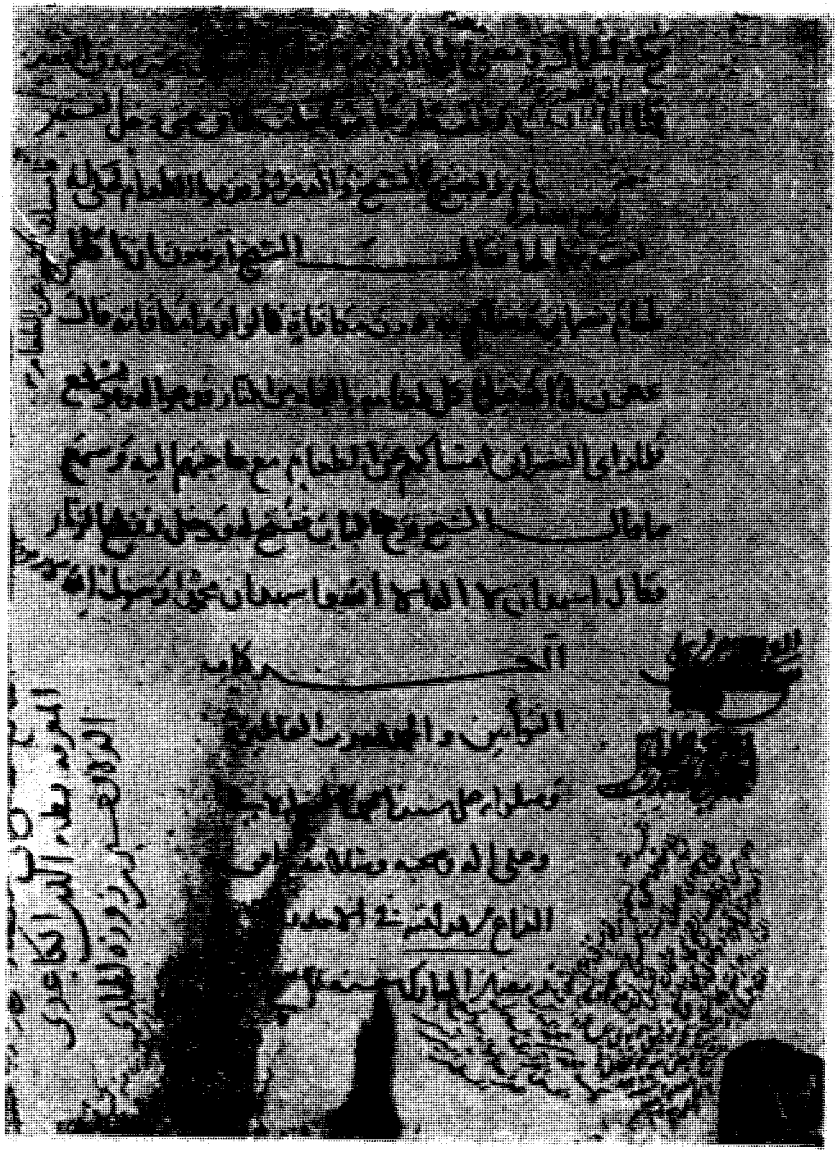

راموز الصفحة الأخيرة من النسخة « أ »

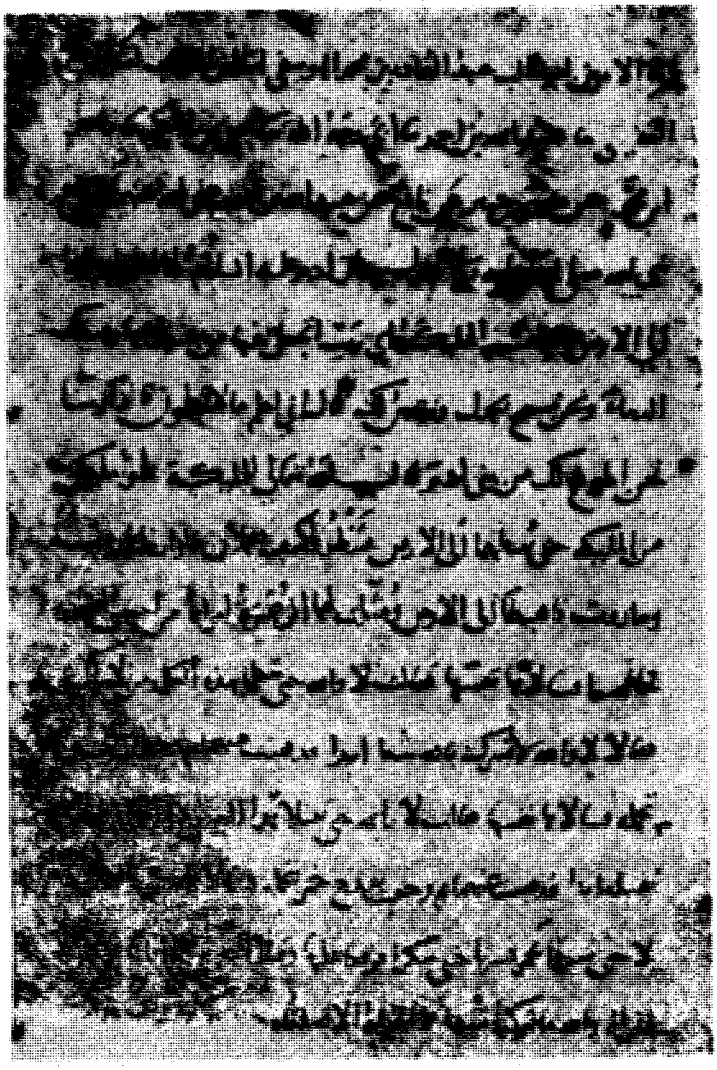

راموز الصفحة الثانية من النسخة « ب »

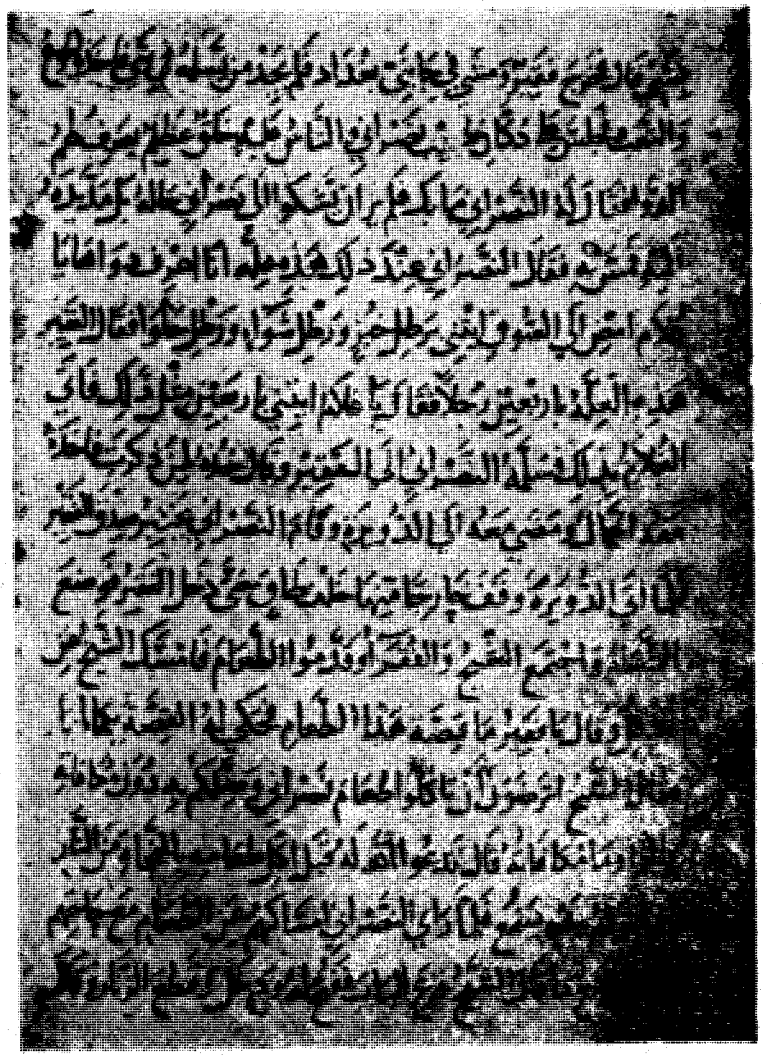

راموز الصفحة الأخيرة من النسخة « ب »